

مَزَالِيقُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ أدريس العلمي - الدار البيضاء

أو صحة القصد أو العمل الصالح أو المستقيم إلا في المجاز المنتحل لهذه العبارة وحدها : « لعب دورا » وهى عبارة غير صحيحة من الناحية اللغوية لا شكلا ولا موضوعا ، أى لا من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى ، كما سيتبين ذلك من بقية البحث .

فليست هذه العبارة المقحمة في اللغة العربية تمسفا سوى ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية « Jouer un rôle » التى لها معنى حقيقى ومعنى مجازى أعطيا معا للعبارة الملفقة . ويقصد بالعبارة الفرنسية حسب موسوعة لاروس في شرح حقيقتها : « مثل دورا في المسرح أو السينما » أما في شرح مجازها الذى هو موضوع بحثنا فقد ورد ما يلى : « قام بعمل ، أو بوظيفة ، سلك سلوكا ما ، كان ماثلا على نحو ما في ظرف من الظروف ، كان له اثر أو تأثير ما » .

فترجمتها بعبارة « لعب دورا » ترجمة بعيدة عن الصواب كل البعد لأنها انتحلت لفعل «لعب» العربى خصائص لغوية ، نحوية ودلالية ، اختص بها فعل « Jouer » الفرنسى ما كانت للفعل العربى ولا يسوغ له لشدة اختلاف وتباين البيئة اللغوية التى

لشد ما يحز في نفسى أن اسمع أو أقرا مثل هاته العبارة التى تتردد على كثير من الأتلام والالسنه سواء في مجال التعريب والترجمة وفي مجال الإنشاء والتحرير: « لعب القرآن دورا كبيرا في حفظ اللغة العربية وانتشارها » أو « لعب الاسلام دورا عظيما في توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » الى آخر ذلك من العبارات التى يستعمل فيها فعل « لعب » ضده معناه اللغوى في الحقيقة وفي المجاز وعكس مفهومه في القديم والحديث عند ما يعنى به قام بعمل جدى ، أو فعل شيئا مجديا ، أو قصد مقصدا صحيحا ، أو عمل عملا صالحا أو مستقيما وذلك لان لفظ « اللعب » ما عنى قط في كلام العرب ولا في افهامهم منذ أن كانت لغة الضاد الى يومنا هذا معنى من هذه المعانى التى لم يرد له فيها استعمال . وقد اتفقت المعاجم العربية قديمها وحديثها على أن لفظ « اللعب » يطلق حقيقة على اللهو ويطلق مجازا على كل عمل لا يجدى نفعا أو لا يقصد به مقصد صحيح أو على كل عمل لا يستقيم .

ولم يستعمل قط ، قبل هذا ، بل ولا يستعمل حتى الآن فعل « لعب » للدلالة على الجد أو الجداية

نشأ وترعرع فيها الفعلا لعربى عن البيئة التى يوجد فيها الفعل الفرنسى .

(1) استعمال ، استخدم :

مثلا استعمال القضيبي ، او المديي
Jouer du bâton, du couteau, du revolver, de
l'éventail (etc ...) (الخ ..)
او المسدس او المروحة (الخ ..)

(2) اشتغل ، شغل :

مثلا زينبرك او مزلاج لم يعد يشتغل
Ressort, verrou qui ne joue plus
شغل او اءار المفتاح فى القفل
Faire jouer la clef dans la serrure
شغل ديك بندقية
Faire jouer le chien d'un fusil

(3) قام بعمله ، اءى واجبه

Jouer son rôle عمل ما عليه

(4) ضارب

Jouer à la Bourse مثلا : ضارب بالبورصة

(5) اعتمد على

مثلا : اعتمد على ضعف الغير او على بؤسه
Jouer sur la faiblesse, la misère d'autrui

(6) انتصر ، تغلب

مثلا : تغلب على الصعاب
Se jouer des difficultés

(7) استغل ، انتفع

مثلا : استغل نسيه ، او عاهته
Jouer de son ascendant, de son infirmité

(8) تدخل

مثلا : لا دخل للاغراض الشخصية فيما بينهم
La question d'intérêt ne joue pas entre eux

من المعلوم عند من يحسن اللغتين ان فعل « Jouer » يستعمل فى لغته لازما ومتعديا بنفسه ومتعديا بغيره بينما فعل « لعب » لا يستعمل فى اللغة العربية الا لازما ولم يستعمل متعديا بنفسه قط على نحو ما هو فى عبارة « لعب دورا » . فان العرب تقول : « لعبنا بالشطرنج » ، ولعبنا بالنرد او بالكرة » ولا تقول « لعبنا الشطرنج الخ .. » فالترجمة اذن قد انتحلت التعدية لفعل « لعب » العربى اللزم لا لشيء الا لتجعله على غرار الفعل الفرنسى « Jouer » سواء بسواء « هذا من حيث اللفظ .

أما من حيث المعنى فان من يتتبع الوجوه والمواطن التى يستعمل فيها فعل « Jouer » الفرنسى ومصدره « Jeu » يجدها على خلاف فعل « لعب » ومصدره « اللعب » يتقلبان فى بيئة لغوية يمتزج فيها الجد واللهو والصلااح والفساد ، والجداية والعبث والاستقامة والانحراف والنفع والضرر ، حيث لهما دلالات اصطلاحية علمية وتقنية فى شتى الميادين نذكر بعض ما ورد منها فى موسوعة لاروس مثل السكك الحديدية والبناء والاقتصاد السياسى والكهرباء والبحرية والمكنية والصيد والتكنولوجيا ، هذا الى جانب استعمالهما فى الفنون الجيلة والالعب الرياضية وغيرها .

وبصدد الاستشهاد سينحصر سردنا للامثلة فى جانب الجد والاستقامة الذى اختص به فع « Jouer » ومصدره « Jeu » دون الفعل العربى « لعب » ومصدره ونترك جانب اللهو والفساد الذى يشترك فيه الفعلان الفرنسى والعربى . وبما اننا نتعدى حدود هذا البحث اذا نحن استقصينا المعانى والامثلة والعبارات الواردة فى موسوعة لاروس ومعجم بول روبير فاننا سنجتزئ عنها بالعبارات والامثلة والدلالات التالية التى تفيد العمل الجدى والاستقامة او الصلااح وصحة القصد او النفع او الجداية .

ففيما يخص فعل « Jouer » نقتصر على المعانى التالية :

Un jeu de brosses

مجموعة فرشاة

(6) كان معنيا بشيء

Etre en jeu

كان موضوع مداولة

(تقرير أو مشروع أو قانون الخ ..)

(7) الشؤون ، القضايا

Bien jouer son jeu مثلاً : أحسن تدبير شؤونه

(8) استخدام ، استعمال ، ادخال

مثلاً : استخدم كل موارده

Mettre en jeu toutes ses ressources

Mettre quelqu'un en jeu ادخله في قضية

(9) تعريض لخطر

مثلاً : عرض حياة انسان للخطر

Mettre en jeu la vie d'un homme

Etre du jeu, être dans le jeu (10) تورط

فهذه امثلة قليلة من عشرات العبارات والدلالات على العمل المجدى والصلاح والاستقامة وصحة القصد التى يستعمل فيها الفرنسيون فعل « Jouer » ومصدره « Jeu » ومنها يتكون جانب الجد فى البيئة اللغوية التى تنتمى اليها عبارة : « Jouer un rôle » المجازية التى نحن بصدد التعقيب عليها ، وهى بيئة لا يسع أحدا أن يزعم أنها غريبة عن العبارة المذكورة أو أنها لا تنسجم معها كل الانسجام ، فهل يمكننا أن نزعّم مثل ذلك لعبارة « لعب دورا » المجازية التى يقصد بها قام بعمل مجد أو كان له تأثير ما أو فعل ما فى ظرف من الظروف ؟ نرجو القارئ الكريم أن يتفضل فيقوم معنا بجولة فى بيئة فعل « لعب » ومصدره « اللعب » لتلمس فيها جانب الجد والجدية حتى نتبين مدى انسجام هذه العبارة مع البيئة اللغوية المراد إلحاقها بها .

نفى (لسان العرب) لابن منظور المتوفى سنة 711 هجرية : « اللعب واللعب » : ضد الجد ، لعب

(9) فر

مثلاً : اطلق ساقيه الى الريح

Jouer des jambes

(10) حاكى

مثلاً : هذا الثوب يحاكى الحرير

Cette étoffe joue la soie

أما فيما يخص المصدر « Jeu » فإننا نكتفى بما يلى :

(1) حركة سهلة ، اشتغال شيء بانتظام

مثلاً : اشتغال اسطوانة ، اشتغال مضخة

Le jeu d'un cylindre

Le jeu d'une pompe

وعلى سبيل المجاز : Au fig :

اشتغال المؤسسات أو الانظمة

Le jeu des institutions

(2) فعل ، عمل

بفعل أحلاف سرية ،

Par le jeu d'alliances secrètes,

بتضافر أسباب شتى ،

Par le jeu de causes diverses,

فعل قوات خارجية ،

Le jeu des forces extérieures,

القوات العاملة Les forces en jeu

(3) مجال للتحرك

أعطى للقفل مجالاً للتحرك

Donner du jeu à une serrure

(4) تخلخل

مثلاً : محور يتخلخل

Axe qui a du jeu

(5) مجموعة

مثلاً : مجموعة مفاتيح

Un jeu de clefs.

يلعب لعبا ولعبا ، ولعب ، وتلاعب ، وتلاعب مرة
بعد أخرى ، قال امرؤ القيس :

« تلعب باعث بذمة خالد
واودى عصام في الخطوب الاوائل »

« وفي حديث تميم والجساسة : « صادفنا
البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج » شهرا ، سمي
اضطراب الموج لعبا ، لما لم يسر بهم الى الوجه الذى
ارادوه » . ويقال لكل من عمل عملا لا يجدى عليه
نفعا : انما انت لاعب وفي حديث الاستنجا : ان
الشیطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، اى انه يحضر امكنة
الاستنجا ويرصدها بالاذى والفساد ، لانها مواضع
يهجر فيها ذكر الله ، وتكشف فيها العورات فامر
بسترها والامتناع من التعرض لبصر الناظرين ومهاب
الرياح ورشاس البول وكل ذلك من لعب الشيطان ،

وفي الحديث لا يأخذن احدكم متاع اخيه لاعبا
جادا : اى يأخذه ولا يريد سرقة ، ولكن يريد ادخال
الهم والغفيل عليه فهو لاعب في السرقة ، جاد في الاذية
وفي حديث على رضى الله عنه : زعم ابن النابغة
انى تلعب اى كثير المزح والمداعبة ، ولعبت الريح
بالمنزلة : درسته ، وملاعب الريح : مدارجها ، وتركته
في ملاعب الجن اى حيث لا يدري اين هو (هـ) (اللسان)

وجاء في شرح «معجم مقاييس اللغة» لابى
الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395
هجريه بخصوص مادة « لعب » : « .. وقيل ان اصل
الباب هو الذهاب على غير استقامة » .

وفي القاموس المحيط « للفريزى المتوفى سنة
820 هجريه نجد الشرح التالى : لعب كسمع لعبا
ولعبا ولعبا وتلعابا ولعب وتلاعب ضد جد ،
وهو لعب ولعب والعبان ولعبة كهمة ، وتلعبية
وتلعاب وتلعابة ويفتحان وتلعاب وتلعابة كثير اللعب ،
وبينهم العوبة اى لعب ، والملاعب موضعه ، ولاعبها
لعب معها ، والعبها جعلها تلعب او جاء بها تلعب به ،
واللعب الحسن الدل ، وبلا لام من اسمائهن ،
والمعبة كمحسنة ثوب بلا كم يلعب به الصبى واللعبه
بالضم التمثال وما يلعب به كالشطرنج ونحوه ،
والاحق يسخر به ، ونوبة اللعب ، وملاعب الريح
مدارجها .. » (اهـ . القاموس)

في الصحاح للجوهري المتوفى سنة 393 هجريه :
« اللعب معروف واللعب مثله ، وقد لعب يلعب .
وتلعب لعب مرة بعد أخرى » ورجل تلعبه : كثير
اللعب ، والتلعاب بالفتح : المصدر والالعوبة اللعب ،
والملاعب : موضع اللعب ، واللعبه بالضم : لعبة
الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة .. »
(اهـ ، الصحاح)

ومثل ذلك في معجم « المصباح المنير في غريب
الشرح الكبير » تأليف احمد بن محمد المقرئ الفيومي
المتوفى سنة 770 هجريه .

وفي اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ،
المطبوع سنة 1889 ميلادية تأليف سميد الخورى
الشرتوتى : لعب الرجل لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا :
ضد جد - ومزح او فعل فعلا بقصد اللذة او التنزه
او غير قاصد به مقصدا صحيحا ، او فعل فعلا لا
يجدى عليه نفعا .. الى غير ذلك وقيل : اللعب هو
فعل الصبيان يعقب التعب من غير فائدة . لعب بكذا :
اتخذ لعبة (اهـ ، اقرب الموارد) .

ونجد نفس الشرح في معاجم القرن العشرين ،
ففى « معجم متن اللغة » للمرحوم الشيخ احمد رضا
العضو السابق في المجمع العلمى العربى بدمشق :
لعب لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا ولعبا : فعل فعلا على
غير صحيح ضد جد ، والعبها جاءها بها تلعب به ،
ولعبت الريح بالمنزل : درسته . (اهـ المتن)

وفي « المعجم الوسيط » الذى أصدره مجمع
اللغة العربية بالقاهرة : لعب يلعب لعبا ولعبا : لها .
وفي التنزيل العزيز : (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب)
ولعب بالشئ اتخذ لعبة . ولعب في الدين اتخذ
سخريه . وفي التنزيل العزيز : (وذر الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا) ولعب : عمل عملا لا يجدى عليه
نفعا (ضد جد) . وفي التنزيل العزيز : (فذرهم
يخوضوا ويلعبوا) فهو لاعب ولعب ، ويقال : لعبت
بهم الهوم : عبثت بهم ، ولعبت الريح بالمنزل :
درسته .

عند ما وصلنا في تحرير هذا البحث الى هنا لم
نكن رجعنا الى «المنجد في اللغة» تأليف لويس معلوف
فبدا لنا ان استشهدنا بمعاجم القرن العشرين سيظل

ناقصا ما لم يتضمن شرح هذا المعجم الكثير الانتشار والاشتهار وقد فوجئنا مفاجأة سارة اذ وجدنا ضمن شرحه التنبيه على خطأ هذه العبارة بالذات وذلك نسي قوله : « يقال خطأ (لعب دورا) والصواب مثل دورا » اما بقية الشرح فمثل ما ورد « في اقرب الموارد » .

وهذا التنبيه الذى لم نكن ننتظره من معجم وان كان تأييدا قويا لراينا لم يصحح خطأ العبارة المذكورة الا من حيث استعمالها فى الحقيقة لا فى المجاز الذى نحن بصدد الحديث عن استعمالها فيه بالذات .

فنستخلص اذن مما تقدم ان لفظ « اللعب » لم يرد له استعمال فى كلام العرب لا فى شعرهم ولا فى نثرهم ولا فى القرآن الكريم ولا فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بغير معنى « اللهو » او « العبث » او « الفساد » او « عدم الاستقامة » ، ولم يعن قط على اى حال فى يوم من الايام الجد او العمل الجدى او الصالح او المستقيم بل وحتى نسي وقتنا الحاضر لا يراى له ان يعنى الجد الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة الخاطئة من اصلها « لعب دورا » وهى كما يلاحظ القارئ الكريم — عبارة غريبة كل الغرابة عن بيئتها اللغوية تنفر منها نفسورا شديدا ، فيها تلاعب خطير بحرمة اللغة العربية من شأنه ان يحدث فيها ثغرة كبيرة بتدفق منها سيل العجمة والرتانة ليجرف الفصيح ويذهب بالصحيح ، ثم ان فيها لتلاعبا بحرمة المقدسات الدينية عند ما تستعمل فى مثل العبارتين اللتين صدرنا بهما هذا البحث . فهل ضاقت اللغة العربية على هؤلاء المترجمين والمنشئين بما رحبت حتى يلجأوا الى مثل هذه العبارة النابية الواهية ؟ ! الم يجدوا فى مائثور لغة الضاد ما كان جديرا ان يغنيهم عن التكلف والتحمل ؟ ! فيا ليت شعرى ما كان يضرهم لو قالوا مثلا : « كان للقرآن فضل كبير فى حفظ اللغة العربية . . . » ؟ ! او « كان للاسلام فضل عظيم نسي توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » ؟ ! او « كان لهما شأن عظيم فى » ، او اثر كبير فى » ، الخ ، ، ، واذا كان لا مندوحة عن جدة التعبير وطرافته الملحوظتين فى كلمة « دور » فبامكانهم ان يقولوا مثلا : « قام

الاسلام او القرآن بدور كبير فى » ، ، ، فهذه كلها عبارات تؤدى تماما المعنى المجازى للعبارة الفرنسية « Jouer un grand rôle » ام لا تصح فى نظرهم الترجمة ولا يستقيم لهم الكلام حتى يقيسوا ويفصلوا ويخططوا ثم يصفوا دلالات الالفاظ العربية على ابعاد واشكال والوان دلالات الفاظ اللغة الاجنبية التى ينقلون عنها ؟ فاذا ساغ لهم ان يترجموا مجاز عبارة « Jouer un rôle » بد « لعب دورا » فانه يسوغ لهم كذلك ان يترجموا سائر العبارات الفرنسية المستعمل فيها فعل « Jouer » بد « لعب » فيقولوا مثلا « زنبك او مزلاج لم يعد يلعب » بدلا من « لم يعد يشغل » او « لعب المفتاح فى القفل » بدلا من « ادار او شغل المفتاح فى القفل » او « لعب بالبورصة » بدلا من « ضارب » او « لعبة مفاتيح » بدلا من « مجموعة مفاتيح » الخ ، ، ،

ان آفة التعريب هذه الترجمة الحرفية العمياء التى تطلع علينا تارة بما يبعث على البكاء وتفاجئنا تارة بما يثير فينا الضحك مثلما حدث فى قصة صاحب دكان لبيع الدراجات فى احدى المدن المغربية غداة اعلان الاستقلال . ففى غمرة الحماس ونشوة التحرر كان المواطنون يكثر من استعمال عبارة « العهد الجديد » فكتب صاحبنا على دكانه باللغة العربية « دراجات العهد الجديد » ثم بدا له ان يكتب العنوان بالفرنسية ايضا فالتجأ الى أحد التراجمة الذين لا يعولون فى عملهم الا على معاجم الترجمة ، ولم يكن حينذاك يوجد فى المغرب منها سوى معجمى بولو اليسوعى فبحث الترجمان فى المعجم العربى الفرنسى « الفرائد الدرية » عن المقابل الفرنسى لعبارة « العهد الجديد » العربية فوجد العبارة الفرنسية « Nouveau testament » هى كما هو معلوم اصطلاح مسيحى يطلق على الكتب الدينية المكتوبة بعد مجيء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام فكتب صاحبنا على دكانه بالفرنسية العنوان التالى :

« Cycles du Nouveau testament »

فندرج ان يتدارك الغيورون على اللغة الامر حتى لا يتسع الخرق وحتى لا يبلغ السيل الزبى .